حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الدلالة الإيحائية في الألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم

خالد فرحان البداينة*

* أستاذ مشارك/ جامعة الطفيلة التقنية / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
dr.khaledfarhan@yahoo.com

المستخلص

ينهض هذا البحث بدراسة شكل من أشكال الدلالات اللغوية والصوتية، وهي الدلالة الإيحائية، أو الوحي الصوتي، إذ تصور المعنى من خلال خاصية الإيحاء الصوتي، ودراسة المقاطع، والكلمات ذات الحروف المكررة بطريقة اهتزازية تصور المعنى وتشخصه، وترسم صورته الموحية التي تحمل طاقات إيحائية تشنّفُ الآذان، وتطربُ النفوس، حين تسمع جرْسها الموسيقي؛ وهي تعني ربط أصوات الألفاظ بمدلولاتها.

وقد توصل البحث إلى أن في القرآن الكريم كلمات ضمن سياق بعض الآيات القرآنية، تشكلت من حروف مكررة أظهرت بإيحاءاتها دلالات مشحونة بأحوال تناسب مقاصد الكلمات ضمن سياق تلك الآيات، وبينت الدراسة أن ألفاظ القرآن الاهتزازية ذات معنى إيحائيّ يؤثّر في المتلقّي، فهي بمجرَّد أن تُلفظ تكشِف عمّا تحمِله من تصوير للمعنى.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الإيحاء، الصوت، المعنى، الألفاظ ، الاهتزازية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فينهض هذا البحث بدراسة إيحاء الأصوات الذي تشكله الألفاظ ذات الحروف الاهتزازية؛ لأن الصوت يتعلق بالمعنى مع التركيز على مفهوم الدلالة الإيحائية في مجموعة من الألفاظ القرآنية ذات الحروف الاهتزازية التي تحمل طاقات إيحائية تضاف إلى الدلالات الأخرى للكلمات، فاللفظة القرآنية منسجمة تمام الانسجام في السياق الذي ترد فيه، وكذلك مع موضوع السورة؛ لتشكل دلالات وإيحاءات من هذا الانسجام، ففي القرآن الكريم حروف تكررت بطريقة لافتة للنظر والسمع، فهي تهتز في الأذن، وتشكل ايقاعاً متميزاً، ويصدر عن التلفظ بها موسيقى داخلية تتشكل في حروف الكلمة المكررة بطريقة متوازية، وقد جاء البحث محاولة للكشف عن هندسة هذه الألفاظ الاهتزازية، وجمالية النص القرآني، وإبراز الدلالة الإيحائية التي تحملها اللفظة من خلال الجرس الموسيقي.

إنَّ لغة القرآن لغة صوتية تمتاز بكثرة ألفاظها وسحرها، وإيحاء كثير من ألفاظها بمدلولات تنسجم مع الموضوعات والسياقات التي وردت فيها، فكان لها تأثير ساحر في النفوس، فكل لفظة تصور المعنى بإيحاء وانسجام، من خلال طاقتها التعبيرية، ضمن سياق الكلمات ذات الحروف الاهتزازية.

تشكل الألفاظ الاهتزازية جرساً موسيقيّاً من خلال إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة، وهذا الجرس يشكل وقعاً في الأذن، وينبه الأحاسيس في النفس، فجاءت الألفاظ الاهتزازية منسجمة أحياناً مع معطيات الدلالة الصرفية التي تُستمد من طبيعة الأصوات من حيث: النغم، والإيقاع، والجرس.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

تناولت في المبحث الأول الألفاظ الاهتزازية من حيث: التعريف لغة واصطلاحاً.

وفي المبحث الثاني: تناولت نشأة الألفاظ الاهتزازية، وجهود العلماء القدامى والمحدثين في الحديث عنها.

وفي المبحث الثالث: توقفتُ عند نماذج تطبيقية لمجموعة من الألفاظ ذات الحروف الاهتزازية في عدة سُور من سور القرآن، وما فيها من أبعاد جمالية شكلها الجرْس الموسيقي للألفاظ الاهتزازية التي جاءت مبثوثة في سور القرآن.

وقد تطلب البحث العودة إلى مجموعة من المصادر التي أفدت منها، لا سيّما التي تتعلق بالتراث الصوتي، ومنها خصائص الحروف لأحمد زرقة، ودلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، وبحث الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، لحسين كاصد الزيدي، الذي تناول فيه الجرس والإيقاع في القرآن واتساق الألفاظ مع جو الآيات والسور، والصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم لمحمد فريد عبد الله، حاول فيه أن يلقي الضوء على أهمية الصوت ومدى تأثير الدلالة وتأثرها بالبنية الإيقاعية في القرآن الكريم.

وقد رغبت في دراسة الدلالة الإيحائية؛ لأن أغلب علماء الأصوات يرون أن الدراسة الصوتية للأصوات بشكل مفرد من حيث المخارج والصفات غير كافية بوصفها محدودة القواعد، فلا بدّ من التوسع في دراسة الظواهر الصوتية ودلالاتها المركزية، والصوتية، والإيحائية، ودلالة النبر، والتنغيم، والفواصل، وهذا ما دفعني لدراسة الألفاظ الاهتزازية دراسة إيحائية؛ لأنها تثير ذهن المتدبر للقرآن بما فيها من جماليات أعطت الألفاظ إيقاعاً رائعاً ارتبط بالمعنى، وما فيه من إيحاء يدلّل على سياق الآيات التي ورد فيها.

وقد اعتمدت المنهج التحليلي في دراسة المقاطع الصوتية، والكلمات المختارة ضمن سياق الآيات القرآنية، ومضامين السور، وسأتناول دراسة المقاطع والحروف دراسة نظرية تتعلق بالإيحاء، وأخرى تطبيقية على هذه الكلمات ذات الحروف الاهتزازية وربطها بالجانب الإيحائي.

وأودعت في الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول:

الإيحاء لغة:

أصل الوحي والإيحاء في اللغة" الإشارة والكتابة، والرسالة، والإلهام والكلام الخفيّ، وكل ما ألقيته لغيرك)[١]، ومنه الوحي الإلهي إلى الملائكة والأنبياء، والوحي البشري، وغير البشري، فمن الأول: إلهام أمّ موسى بإرضاعه، وإلقائه بصندوق في النهر حين خافت عليه من القتل من قبل فرعون وجنوده، قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ)[٢]، وأما النوع الثاني من الإيحاء، فهو غير البشري، ويسمى" الإلهام الفطري الغريزي"، كإلهام النحل باتخاذ البيوت من الجبال والأشجار، ومن المعروشات، ثم أخْذ العسل من الأزهار، فهذا أيضاً يسمى وحياً قال تعالى:(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ)[٣].

الإيحاء اصطلاحاً:

الدلالة الإيحائية تعني مجموعة من المعاني التي يمكن أن تتولد من اللفظة الواحدة داخل السياق، فيكون أحدها المعنى الأصيل للفظة، وتكون المعاني الأخرى تبعاً له.

يقول عبد القاهر الجرجاني: (إنّ لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم وهو فيه أجلى)[٤]، فكلما كانت إيحائية الكلمة عالية، كانت قيمة تلك الكلمة فنيًا عالية أيضا والعكس بالعكس) [٥]وبذلك فإن كل لفظة من الألفاظ ذات الحروف الاهتزازية في القرآن لها وقع خاص في نفوس المستمعين، وتشكل صورة تنسجم مع المعنى، تهز الوجدان، وتترك أثراً في النفوس.

(فالكلمة في القرآن الكريم مختارة بعناية بالغة فهي تحمل إلى جانب وقعها على الأذن، وحركة اللسان بها إيحاءً بالمعنى، وظلّاً وموسيقى)[٦] وهذا ما يُظهر الإيحاء النابع من صوت الحرف، من خلال انسجامه وتناسقه مع أصوات الحروف الأخرى المكونة للفظة القرآنية، وما ينتج عنها من تناغم صوتي جميل، يقول الجرجاني: (الإيحاء: إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة)[٧]، كما يعرّفها محمد العبد بقوله: (إن للحروف في اللغة العربية إيحاءً خاصاً، فهو إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدل دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوّاً يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه، ويوحي به)[٨]، فالإيحاء إذن نتاج لغوي يتجاوز الفهم الظاهري للكلمة، أو إشارتها المعرفية، وهو ذو قيمة وأهمية كبيرة في الوصول إلى تصور كامل للمعنى، بمعنى آخر إنه الخيوط الخفية التي تربط نسيج النص، وتقويه وتظهره بحلته وزينته الظاهرة)[٩].

ويؤكد سيد قطب على التناسق بين جو السياق، وجرس الألفاظ، فيقول: (إنّ التناسق الفني في الكلام هو الصيغة التي تتوفر فيها وحدة من الانسجام في صورة جميلة، أخّاذة تسترعي الانتباه وتريح الحواس)[١٠] .

الإيحاء في الدلالة الصوتية:

من إعجاز القرآن وتفرّده الرائع في الدلالة، ارتباط الصوت بمعانيه ارتباطاً وثيقاً، وقد تبيّن للعلماء، أنّ الجانب الصوتي ركن أساس في بناء التعبير القرآني في مواضع عدة من التنزيل، يرى ابن جنّي في كتابه الخصائص: (أن أصوات العربية وما يمكن أن يكون لها من قوة دلالية، يستطيع القارئ، أو السامع معرفة ما توحي به من خلال نطقها، راجعاً في ذلك إلى خصائص الصوت نفسه، لا إلى قوة سحرية تعمل عملها في إظهار المعنى)[١١]، وكان الفارابي قد التفت إلى ما سمّاه بعض المحدثين: الحاسة الموسيقية وسمّاه هو الهيئة الشعرية، وهي مركوزة فيه من أول كونه)[١٢]، وتلك الخصيصة أكسبت سمع العربي قدرة عالية في التمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة، فكان مرهفاً يستريح الحاضر من الكلام لحسن وقعه، وينفر منه آخر؛ لنبوّ جرسه)[١٣]، ولقد بلغ القرآن الكريم الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه، وذلك بعذوبة جرسه وجمال إيقاعه ونغمه، وما لذلك من صلة بدلالته وكأنّ الوليد بن المغيرة المخزومي في هذه الخصيصة الصوتية، حين سمع رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم- يتلو عليه سورة (فُصّلت)، فإذا به يدهشه أمر القرآن، فيقول من غير تردّد ولا كتمان: (إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أسفله لمُغْدِق، وإنّ أعلاه لمُثمِر، وما يقول هذا بشر) [١٤]، إنّ الإيحاء يعد رافداً من روافد الدراسات الإعجازية في القرآن الكريم، فالألفاظ الاهتزازية تبعث إيحاءات جميلة تزيد المعنى قوة وتأكيداً.

تعريف الألفاظ الإهتزازية:

لاحظ علماؤنا القدامى مناسبة أصوات حروف العربية لمعانيها، كما لمحوا في صوت الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية؛ إذ لم يتوقفوا عند الحرف وخصائصه فقط؛ وإنما أعملوا فكرهم في الحروف وما تعبر عنه من أغراض موحية، فألفوا الكتب في هذا الموضوع، وحدّدوا العلاقة بين الأصوات والمعاني ودلالاتها، ومن أشهر العلماء الذين توقفوا عند الألفاظ الاهتزازية عبقري اللغة ابن جنّي الذي عرّفها بقوله: " هي ألفاظ تشعر القارئ، أو السامع بشدّتها، وقوّتها، واهتزازيتها من خلال تكرار حرفين متتاليين، أو تكرار كلمة كاملة قوية اهتزازية، لبيان أحداث في غاية الأهمية)[١٥]، وعرّفها عبد الستار مشحن بقوله: (هي تلك الألفاظ التي تشعرك بالمعنى، وتحرك خيالك نحو سلسلة من المعاني، تتداعي متصلة بالكلمة من خلال تكرار مقطع فيها، وهو مرتبط بجرس الكلمة وإيقاعها وما تحمله من ظلال)[١٦].

وهذا تعريف آخر لسيد قطب: " الإيحاء الصوتي هو رسم صورة شاخصة، دلالة لمعنى من المعاني من خلال ائتلاف حروف ألفاظه، وتناسبها مع حركاتها وحدودها، ففي القرآن الكريم ألفاظ يوحي جرسها الموسيقي بمعناها وهذا هو موضوع البحث، وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على حيوية اللغة العربية وعبقريّتها)[١٧].

المبحث الثاني:

نشأة الحروف الاهتزازية:

لقد أشار إلى هذه الظاهرة القرآنية، علماؤنا الأوائل، فالخليل بن أحمد يصفها بقوله: " وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبهها، يتوهمون في حسن الحركة ما يتوهمون في جرس الصوت، يضاعفون؛ لتستمر الحكاية وفي وجه التصريف)[١٨]، أما عالم اللغة ابن جني فيقول في كتابه الخصائص: (فلما كانت الأفعال دليلة المعاني، كرَّروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المحدَّث به وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو" صر صر، وحق حق" دليلاً على تقطيعه)[١٩].

وفي سياق آخر يقول ابن جني: " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئبّ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها[٢٠]، والعرب تختار الأصوات المناسبة المعبرة عن المعنى المراد، ونزل القرآن متحديا العرب أهل الفصاحة والبلاغة، فظهرت فيه هذه الألفاظ الاهتزازية، أما السيوطي فيقول: فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني؛ فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين، والأخفى، والأسهل لما هو أدنى وأقل وأخفّ عملاً أو صوتاً، وجعلت الحروف الحرف الأقوى، والأشدّ، والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حسّاً)[٢١].

أمّا المحدثون فلم يغفلوا عن هذه الألفاظ الاهتزازية، فهم يرون أن الكلمة تقوم مقام الحركات الجسمية وما يصاحبها من انفعالات، فيمدنا بالإيحاء الذي يعبر عن الموقف الذي جاءت الكلمة في سياقه، يقول إبراهيم أنيس في ردّه على من قال: إن هناك ربطاً طبيعياً بين الألفاظ ودلالاتها (ولم يخطر ببالهم أن القدرة على استيحاء الدلالات مرجعها إلى ما يكتسبه المرء من ألفاظ معينة، ومن ربطه بين تلك الألفاظ ودلالاتها ربطاً وثيقاً، فالعملية كلها مكتسبة لا سحر فيها ولا غموض)[٢٢].

وممّن أشار إلى التصوير الصوتي (الإيحاء) مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية وقد أسهب في الحديث عن الجانب الصوتي فيقول: (إن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب تنويع الصوت)[٢٣].

وكذلك سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن الكريم إذ تناول التصوير بالإيحاء، وبجرس الكلمات يقول: (يجب أن نتوسع في معنى التصوير حتى ندرك آفاق التصوير في القرآن الكريم، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور تتملؤها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان)[٢٤].

المبحث الثالث:

نماذج تطبيقية للإيحاء الصوتي في القرآن الكريم:

يزخر القرآن الكريم بكلمات وافرة، تكاد تنتشر في كثير من آياته، تمتاز بالإيحاء الصوتي من خلال ربط الكلمة ذات الحروف الاهتزازية، والمقاطع المكرورة بالمعنى الدقيق للكلمة من خلال الإيحاء، أو رسم الصورة الموحية، والتعبير بالأصوات، والحركات التي تأتي تبعا لحركة الألفاظ الاهتزازية،(نستطيع أن نقول في غير تردد إن للحرف في اللغة العربية إيحاءً خاصاً فهو إن لم يكن يدلّ دلالة قاطعة على المعنى يدل دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جواً يهيّئ لقبول المعنى ويوجه إليه، ويوحي به)[٢٥]، فترديد صوت الألفاظ الاهتزازية يضفي إيحاءً يستمتع به السمع ، وتتلذذ به النفس. ومن هذه الألفاظ الاهتزازية:

زلزل:

وردت هذه الكلمة في سورة الزلزلة قال تعالى:**(إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)**[٢٦]، فجاء تكرار حرفي الزاي واللام؛ ليوحي بالاضطراب الكوني، فالإيحاء الصوتي في القرآن الكريم ينهض به الصوت اللغوي، فيوحي بالمعنى بدقة، ففي كلمة زُلزلت إيحاء بالحركة القوية والعنيفة، وهي مشاهد مذهلة من مشاهد يوم القيامة، تزلزل الأرض بمشهد مروع لا يدانيه مشهد من مشاهد الدنيا كالزلازل والبراكين، ثم يأتي تكرار الكلمة ليشكل طاقة إيحائية تتجلى في تكرار المعنى وتقديم مشهد قيام الساعة في لقطة موحية بمشاهد مروعة حتى يستشعر المرء خطر ذلك اليوم من خلال حركة اللفظ التي تصور حركة الأرض واضطرابها.

إن قوة الزلزلة جاءت مناسبة للأصوات التي شكلها صوت هذين الحرفين، فالزاي من الحروف المجهورة الانفجارية التي عبّرت عن هول المقام، أما حرف اللام المهموس فأوحى بقلّة حيلة الناس المذعورين الخائفين، فجاء تكرار هذين الحرفين؛ ليعطي قوة تعبيرية، بحيث(يؤدي بها- فضلاً عن معانيها العقلية- كلّ ما تحمل في أحشائها من صور مدّخرة، ومشاعر كامنة، لقّت نفسها لقّاً حول ذلك المعنى العقلي)[٢٧].

وفي سياق آخر وردت كلمة(زَلْزلة) ذات الحروف الاهتزازية في قول الله- عزّ وجلّ-:**(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ)**[٢٨]، إذ إن صوت الزاي مع اللام من الأصوات اللثوية الأسنانية الصفيرية، وقد ساعد على حدوث التناسق والانسجام بين الأصوات في تشكيل ألفاظ هذه السورة، مما زاد في تناغمها وجمالها، وقد زاد هذا التناغم بين الحرفين في إظهار المعنى من خلال دلالاته الإيحائية بصورة اشدّ تأثيراً في النفس من مشاهد يوم القيامة، فالزلزلة توحي بالاضطراب والحركة السريعة الشديدة المرعبة فهي تصوير حيّ لحال الكون بما فيه من جبال، وبحار، وسماوات، فمطلع السورة يوحي بموضوعها، فالسورة اسمها(الحج) وفي هذه الشعيرة مشهد مهيب يذكّر الإنسان بيوم القيامة وما فيه من مشاهد الزحام في الطواف والسعي، وقد أوحت كلمة الزلزلة من خلال تكرار هذين الحرفين بطريقة موازية بوظيفة نفسية تشعر المتلقي بالمشهد المروع الذي يعتري الناس فجأة؛ لأن فاعلية هذه الكلمة تظهر بوضوح من خلال الجرس الموسيقي لها فتوحي بهزة عنيفة للقلوب الغافلة، إنه حقاً مشهد تنفطر له القلوب وتهتز منه الأركان (إنّ لكل لفظ صوتاً ربّما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه والذي تساق له الجملة) [٢٩].

أمّا قول الله- عزّ وجلّ-:**(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)**[٣٠]، فقد استعار التعبير القرآني للاضطراب النفسي الشديد الذي أصاب الرسول- صلّى الله عليه وسلّم- والمؤمنين الأوائل لفظ (زلزلوا) الدالّ على الهزّات الأرضية المتتابعة في أصلها الحسي، لكنها تنمُّ هنا عن هزّاتٍ نفسية عنيفة كادت تزعزع المؤمنين وتعصف بهم، ولعلَّ في تكرار الصوتين الزاي واللام ملمحا جمالياً للحركة يبرز ما يحققه التعبير الاستعاري من صورة الزلزال الحقيقي وما يرافقه من اضطراب وشدة، وانعكس هنا على حركة نفوس المؤمنين فيما اعتراهم من الذعر والخوف.

ولا شكَّ في أنّ حركة الزلزال الحقيقي تساعد المتلقي في الانتقال من تخييل رقعة مكانية واسعة تشمل الكون كلّه إلى تخييل رقعة مكانية ضيقة تنحصر داخل النفس الإنسانية، وهذا بدوره يعمل على تخيل التضاد بين السعة والضيق من جهة، وبين المظهر المادي والانفعال النفسي من جهة أخرى.

وفي هذا اللفظ تكوّن المقطع المكرور من صوتي الزاي واللام، وكلاهما صوت مجهور، فالأصوات الصفيرية المجهورة، تلقي بظلالها على المشهد المخيف لحدوث الزلزلة، وعليه فقد جاء اللفظ " زلزلوا زلزالا " موحياً بحركتهم الشديدة وما رافقها من اضطراب وانفعال، فالزلزلة اهتزاز ينذر بخطر قوي يدمر بسرعة كل ما يهتز.

زحزح:

جاءت هذه اللفظة الرباعية مكررة الحرفين الزاي والحاء قال تعالى: (**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ**) [٣١] تلقي هذه المفردة بحروفها الاهتزازية ظلالاً موحية تصور من خلالها مشهد الإبعاد والتنحية بما فيه من حركة بطيئة عنيفة، فالكل يترقب، والقلوب واجفة، والخوف يهز الأركان، فالسياق الذي وردت فيه كلمة(زُحزح) يعبر عن قضية مصيرية، إما إلى جنة أو إلى نار، والناس فريقان: فريق في الشقاء، وفريق في السعادة، والألفاظ فيها قوة تعبيرية توحي بهول المشهد وما يرافقه من قلق وخوفٍ يملآن صدور أهل النار، وسعادة غامرة تغشى أهل الجنة الذين فازوا بها، فجرس الكلمة يوحي بمعناها الدقيق(فالإنسان يستطيع أن يتحسس دلالة الكلمة من وقعها الموسيقيّ، مما يشعر أن نغمة بعضها مناسبة تماماً لما استعملت فيه من الدلالات، ولهذا يلاحظ في كثير من النصوص مراعاة الطبيعة الصوتية للفظة؛ إذ تنسجم بعض الألفاظ مع سياقٍ دون آخر)[٣٢]، فالمعنى تُشتم رائحته من خلال طبيعة الصوت الاهتزازية في الكلمة " زُحزح" فاللفظ يجسم الحركة المتكررة تبعا لتكرار الحروف.

تكمن جمالية هذه اللفظة في توافق الصوت مع الصورة، ففي كلمة(زُحزح) إشارة واضحة إلى تشخيص الحركة المتكررة تِبعاً لتكرار الحرفين الزاي والحاء، وأن لجرس هذه الكلمة وصوتها أثراً بارزاً في الدلالة والإيحاء ببطء الحركة وهذا واضح في صوت الحاء فهو حرف مهموس رخو، ويوحي عند لفظه المتكرر بصورة الزحزحة.

فالألفاظ الاهتزازية ألفاظ تشعرك بشدّتها وقوتّها واهتزازها، من خلال تكرار حرفين متتاليين أو تكرار كلمة كاملة، فتكرير حرف الحاء، وهو حرف حلقي يشكل احتكاكاً في الحلق، وهذا يشعر بالمعنى، فالصورة التي تجسدها كلمة زُحزح من خلال الصوت الاهتزازي في الكلمة، جعلتنا ندرك المعنى، فالحروف ترسم المعنى بما فيه من حركات قوية أو بطيئة، مطمئنة أو مفزعة، يقول سيد قطب: (إن القرآن لا يرسم صورة العذاب مباشرة إنما هو يدع الألفاظ تلقي ظلالاً معينة، فيرتسم في الضمير مشهد مخيف" **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**" فكلّ فرد إذن على وشك أن يسقط في النار، وإنه ليحتاج في مجاوزتها قليلاً إلى جهد عنيف، جهد الزحزحة، وهي الحركة البطيئة العنيفة)[٣٣]، فالزحزحة توحي بإبعاد المؤمن عن النار بسرعة قبل أن يلفحه لهيبها، حقاً إنها حركة تصويرية توحي بالنجاة من النار والفوز بالجنة، فاللفظ تكوّن من تكرار المقطع الصوتي (زح ، زح) وهذا التكرار أعطى للبنية الصوتية داخل التركيب بعداً إيحائياً، فالمعنيون بهذه الآية القرآنية بين حالين من الشدة والرخاء: أما الشدة فقد جاءت من قربهم من النار فهذا الخوف الذي يلفّهم يستشعره المتلقي من حرف الزاي الصفيري المجهور، وأما حالة الاطمئنان فقد جاءتهم من استبشارهم بالجنة، وهذا ما أوحى به صوت الحاء المهموس؛ ليعبر عن تلك الحال.

دمدم:

وردت هذه الكلمة في قوله تعالى:(**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا**)[٣٤]، تبدأ اللفظة بصوت الدال الجهوري، وهو صوت محبوس بين اللسان واللثة، فكأنه منغلق داخل الفم، ثم يخرج، ويليه صوت الميم فيتكرر الحرفان بصورة اهتزازية، فتخرج هذه اللفظة المكرورة وكأنها انفجار بعد انحباس، وتكرار هذين الحرفين يوحي بالقوة والشدة والحدة، وكأنها أصداء لاصطدامات عنيفة تشبه صوت الرعد المدوي، فهذا الإيحاء ينسجم مع شدة العذاب، وسرعته، ومضاعفته، وإطباقه عليهم حين تغشّاهم، فالتكرار المقطعيّ في هذه الكلمة يؤدي دلالةً إيحائية تشعر من خلال جرسها المدوّي بهول العذاب، وتواليه؛ مما يتناسب مع المعصية الكبيرة التي اقترفوها، ففي اللفظ(دمدم) إيحاء يكشف عن جو التدمير لقوم ثمود، ويشعر كذلك بالدمار الشامل في نهاية المشهد.

فالإيحاء الذي شكّله تكرار الحرفين يشعر بغضب الله عليهم، فجاءت العقوبة الإلهية العادلة التي تشبه القصف، فالمفردة منسجمة مع معنى الدمدمة وهي الهلاك بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب، وعقر الناقة، كما تحمل صفة إيحائية تشعر بتضعيف العذاب وترديده، وتوحي كذلك بتوالي العقوبة، ونزولها عليهم قِطعاً متتابعات حتى إهلاكهم، وكأن نهايتهم كانت دامية بتكرار المقطع(دم) وهذه الدلالة الإضافية صعّدت استشعار الشدّة، والغضب في تصوير هذه العقوبة الإلهية العادلة، لمن لم يُراع لله حرمته، ثم جاءت كلمة فسواها، أي سوّى بهم الأرض فلم يبق منهم أحد.

حصحص:

وردت هذه الكلمة ذات الحروف الاهتزازية في سورة يوسف، قال تعالى:**(قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**)[٣٥]، تكرّر حرفان في كلمة حصحص هما الحاء والصاد، فالحاء حرف احتكاكي مهموس وكذلك الصاد حرف احتكاكي صفيري ، أما الصاد فهو

من أصوات الإطباق، وبذلك ضاعف الإيحاء الصوتي تناوب هذين الحرفين الحاء والصاد بما تحمله هذه الكلمة من معنى الوضوح والبرهان على براءة يوسف مما نسب إليه، وهذه الأصوات بصفاتها تجسد بصوتها صورة الحصحصة وظهور البراءات المتدرجة.

إن هذه اللفظة تناسب سياق القصة في سورة يوسف حيث لم يقف المعنى عند ظهور الحق بل تعداه إلى براءة يوسف- عليه السلام-، فالبنية التركيبية لكلمة" حصحص" على وزن فعْلل وهذا يفيد التكرير، وفي هذا الصوت المكرور إيحاء دقيق بمراحل تدرج ظهور الحق وبراءة يوسف- عليه السلام- بداية من القميص، ثم شهادة النساء، ثم أصحاب السجن، وانتهاء بقول امرأة العزيز(الآن حصحص الحق) فجاء تكرار اللفظة موحياً بتكرار الشهادات التي تثبت براءة يوسف.

إن طبيعة الحروف الاهتزازية التي ترد في سياق السور القرآنية مرتبطة من حيث الجو العام والخطاب، ارتباطاً وثيقاً بالمعاني الدقيقة التي تعبر عن الأغراض، والأجواء، والإيحاء في السياق القرآني، فهي مختارة بعناية لتناسب الأجواء في الآيات والسُّور، فجاءت هذه الكلمة التي تشكلت من أربعة أحرف، لكنها أبلغ من كلمات عديدة، إذ توحي هذه الكلمة بالصراع المرير بين الحق والباطل، فالإعجاز الصوتي الذي تمثل في هذه الكلمة أوحى بالمعنى الذي حملته كلمة (حصحص) فجاء تكرار الحاء والصاد بطريقة متوازية ليرسم صورة حسية لظهور الدلائل ووضوح الحقائق التي تدعم براءة يوسف- عليه السلام- مما لحق به من كيد وظلم، إنّ القول(الآن حصحص الحقّ) يجسد صراع الحق مع الباطل، وأنه متى ما توقرت مؤشرات للصدع بالحق فإن مآل الباطل الدحض والزهق؛ لذا استشعر القدماء جمالية مادة(حصحص) ومزاياها، فعرفوا واستنبطوا معاني المبالغة بالتضعيف والتكرار، فكان منهم من وصفها عقب ذلك بالفريدة التي لا نظير لها، ومنهم من خَرّجها ضمن أمثال قرآنية مرسلة؛ لأنها تشترك في بيان محصلة القصة فهي فرَج بعد شدّة، وبيان لحسن عاقبة الصبر.

عسعس:

لعلّ أبرز ما يمتاز به أسلوب المشاهد القرآنية هو هذا الإيقاع الصوتي المملوء نغماً، وهذه الموسيقى الداخلية التي تنبعث من السياق القرآني حتى في اللفظة المقررة في بعض الآيات، فتكاد تنتقل بجرسها ونغمها، وظلالها بتصوير مشهد بديع الألوان قال تعالى: **وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ**(٣٦)، (ففي همس السين المكرورة، وخفة وقعها في الأذن إيحاء بذائقة سمعية، فالجرس الذي شكله تكرار السين مع العين يوحي بدلالة المعنى؛ إذ يرسم صورة حسية لإقبال ظلام الليل بآفاقه المترامية، ثم انفلات الصبح من مخبأ الليل وسجنه، وما يصحب ذلك من صحوة الكون، ودبيب الحياة في أرجائه)(٣٧)، فالمتذوق لجمال التعبير في هذه الآية يدرك ثروة شعورية وتعبيرية شكّلها إيحاء الألفاظ بالمعنى، فكلمة عسعس وما يشابهها في القرآن الكريم(ألفاظ موحية بجرسها؛ إذ تحمل شحنات من الإيقاع الصوتي، وشحنات من المعنى المتمم للآية والملائم لمعناها)(٣٨) ، جاءت اللفظة بمقطعين متوازيين لإظهار المعنى وتصويره، فالهمس والخفاء في السين يناسب (صورة الليل وهو يعسّ بالظلام بحركة وئيدة بطيئة، وصورة حية شاخصة على طريقة القرآن في التشخيص، لتحقق منتهى التأثير بهذه الصورة الشاخصة)(٣٩)، وبذلك تكون هذه اللفظة بجرسها الصوتي رسمت مشهد الثلث الأخير من الليل، كما يوحي صوت العين بدخول الصبح بما يحمله من أصوات هادئة.

لقد حسم صوت السين بجرسه الرائع الحركة، والإيقاع اللذين يوحيان بحركة الليل وهو يعسعس في الظلام والخفاء، وهو إيحاء بالجرس الذي شكل ارتباطاً وثيقاً بالمعنى؛ لأن التضعيف في لفظ عسعس أعطى المعنى قوة زائدة، وأوحى بإدبار الليل، وإقبال النهار.

صرصر:

وردت كلمة صرصر في ثلاث سور في القرآن قال تعالى:(**وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ**)(٤٠) وقوله: (**إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ**)(٤١)، وقوله: (**فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ**)(٤٢)، قيل في تفسير الصرصر إنها ريح شديد السموم، والصَرّ بفتح الصاد بمعنى الحر، وقيل أيضاً إنّ معناها ريح باردة شديدة، والصِرّ بكسر الصاد البرد، فالصرصر وصف خاص للريح المرسلة بالعذاب، فالكلمة بحروفها الاهتزازية، وحروفها المكرورة الصاد والراء توحي بشدة الريح، وتلاحقها وطول زمنها، فالصاد الصفيري يحمل معه صوت صفير الريح، وأزيزها، كما يحمل صوت اصطكاك الأسنان بسبب شدة البرد، أما حرف الراء المكرور، فيجسد الصورة التكرارية لذلك الصوت، واستمرارية هبوب تلك الريح، وجاء تكرار هذين الحرفين موحياً بأثره في الحالة النفسية التي عاشها قوم عاد، فجاء إيحاء كلمة صرصر مشعراً بالمعنى الذي اتّسم بالعنف والشدة، فالصاد، والراء المضعّفة، والتكرار في لفظة" صرصر"، قد أضفى صيغة الشدة، وجسّد صورة الرهبة، وهذا ما يهدّ كيان الإنسان عندما يلتمس السلامة ولا يجدها، وهذا ما يجعل إحساسنا

بالإيحاء يزداد، (إن دراسة الإيحاء والكشف عنه لا تقوم على التجزئة والإفرادية، بل تقوم على لمح المفردات واستكناه ظلها ليس بمعزل عن تركيبها وسياقها وجوّها العام المحيط بها)[٤٣].

إن تكرار حرف الصاد مع الراء يوحي بعظم المشهد، وخطورة الموقف في الآيات الثلاث؛ لأن الراء من الأحرف التي تحدث اهتزازاً عند النطق بها وينتج موسيقى مصدرها التكرير)[٤٤]، فكل لفظة في القرآن مختارة بعناية؛ لتؤدي دورها دونما إغفال لطاقتها الإيحائية، أو جرسها الموسيقي المبني على أصواتها، وإن تكرار الحرفين الصاد والراء يستدعي مشهداً لإعصار مدمر تتخلله ريح تدمر كل شيء وتوحي بفداحة الأمر وانعدام النجاة، وهو ما يؤكد أن تضعيف الألفاظ يأتي من أجل إظهار معاني الشدة والمبالغة فيها، وصرصر من الألفاظ التي توحي بمعناها،(إذ يوظف إيقاع الكلمة وجرسها بدقة بالغة للوصول إلى أغراض إيحائية تضيف إلى المعاني العرفية للألفاظ أبعادا وظلالا ما كان لها أن تتحقق لولا ما تحمله حكاية الصوت من طاقة إيحائية) [٤٥]، فالتتابع الصوتي في اللفظة بين الصاد والراء أكسبها إثارة في استيحاء الموقف الذي عبرت عنه في الآيات الثلاث من سُوَر مختلفة وهو الشدة والحدة والقوة.

كبكبوا:

وردت هذه اللفظة في قول الله عزّ وجلّ: **(فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ)**[٤٦]، الكبكبة هي الرمي في الهوّة ولكن ذُكر الفعل على هيئة التكثير؛ إفادةً للتتابع مع إحداث صوتٍ غير مفهوم، وغير مستحب وهكذا جاء تكرار(كُب كِبُ) دليلًا على تكرار الحصول الذي يوحي بالفظاعة، ولم يكن الثقل في مبناها إلا دليلاً على الثقل في معناها)[٤٧]، فالصورة في ذهن المتلقي هي أن الكافر ينكب في جهنم مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها السحيق، وهذا ما أوحت به كلمة كبكبوا.

(لقد صورت هذه الكلمة بجرسها، وصوت حروفها شدّة هذا العمل وقسوته، وهو الكبُّ في نار جهنم وهذا لا ريب من صميم البلاغة الصوتية التي تلتقي مع موضوعات علم البيان في غرض أصيل هو قوة الدلالة ووضوحها)[٤٨]، إن كلمة كبكبوا ترسم ملامح المجرمين وهم يُكبّون على وجوههم، أو على مناخرهم في النار، فقد أوحت حروف هذه اللفظة الاهتزازية بأن الكفار يُلقون في جهنم بطريقة قاسية، يُدعّون فيها دعًا، مهمَلين لا قيمة لهم، ففي كلمة كبكبوا(تآزر الصوت والمعنى، وتمازج النغم الداخلي مع النغم الخارجي المنبعث من المعنى الذي ورد في سياق الآية)[٤٩]، وجاء جرس الكاف والباء ليصور المشهد تصويراً موحياً بالحركة، وفي هذه الكلمة الاهتزازية يستشف منها الاحتقار، فهم يُلقون فوق بعضهم، ويرافق ذلك تلك الصرخات والأنّات، فحالتهم مَهينة مُزرية تبعث على الأسى.

إن تكرار المقطع(كُبْ) يوحي بتكرار كبِّ أهل النار فيها، وتواليهم في أسفل درك في جهنم، وهذا يأتي (منسجماً تمام الانسجام مع سياق الوعيد والتهديد لهؤلاء الغاوين الضالين)[٥٠]، إذن هذا التكرار المقطعي له دلالات متعددة جاءت من خلال إيحاء الصوت المتعلق بالحروف المكررة، فهناك إيحاء بالاجتماع والتكديس بعضهم فوق بعض، فجاء إيحاء هذه الكلمة ليحاكي الحدث، فمن يسمع هذه الكلمة كأنه يسمع صوت الكبّ، والإلقاء في نار جهنم، إن تكرار الكاف والباء يرسم صورة حسية ولقطة تصويرية لمشهد الكب في النار والارتطام في قعرها هم وأصنامهم التي كانوا يعبدونها، فجاء تكرار الحرفين المتوازيين ليوحي بمشهد تتقطع له القلوب وتهتز له الأركان، هو مشهد التدافع والارتطام بصورة توحي بملامحهم الذليلة وامتهانهم بعد عزهم في الدنيا وتحقيرهم بعد شموخهم، وقد أضفى صوت هذين الحرفين" الكاف والباء" قوة في الإيحاء وقدرة على تصوير المعنى فكلاهما صوت انفجاري شديد، فضلا على أنهما تكررا مرتين في اللفظ نفسه ما أعطاه شحنة انفعالية مضاعفة، فاللفظ منسجم مع المعنى الذي جاء به، وإن هذا الانسجام بين اللفظ والمعنى أوحى ببعد جمالي مؤثر، هكذا نرى كيف أن المحاكاة الصوتية بصورة مماثلة بشكلها الإيحائي، ونغمها وجرسها الموسيقي يسهم في استدعاء المعنى، وتشخيصه وتجسيده، ورسم الملامح التي يتضمنها، إذ إن دلالة كلمة كبكبوا تختلف عن(كُبّتْ وجوههم في النار) فدلالتها السقوط في النار على وجوههم وهي أشرف ما يحتوي الرأس، في حين نجد تكرار المقطع الصوتي" كبكبوا" ملائم للغرض الوارد في السياق، فأصناف الكفار في سياقها كثيرة شمل الغاوين، والذين أضلوهم، وجنود إبليس، لذا ناسبهم التعبير؛ ليكون أبلغ في الدلالة على حشرهم.

صفصفا:

وردت هذه الكلمة في سياق الإجابة عن السؤال(ويسألونك عن الجبال) قال تعالى:" **وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا، فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا)**[٥١] وقد وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وجاءت موحية بأهوال يوم القيامة، وما فيها من

الزلازل والقلاقل، ذكر الماوردي في تفسيره لها وجهين: أحدهما أنه ما لا نبات فيه، قاله الكلبي، والثاني: أنه المكان المستوي على صف واحد في استوائه، لا أثر للجبال فيه، حين نُصغي لحرف الصاد، نكاد نتلمَّس حقيقة هذا الصّوت، ونتَحسّس ماهيَّته فهو من الحروف الصفيرية، (فالقيمة الحقيقية للألفاظ لا تنحصر فيما تولده من متعة حسية كافية في جرس الحروف، أو توالي الأصوات، أو الموسيقية بالائتلاف والتناسب فحسب، بل فيما يكمن خلف الألفاظ من معانٍ بعيدة، وأبعاد لا محدودة) [٥٢]، فصوت الصاد أندَى في السَّمع؛ لأنّه يُصقّر به، لذا يَصلح لِمحاكاة الأصوات الطبيعية.

يقول الدكتور حسن عباس: ولقد مَنَحَتْه هذه الخصائص الصوتية شخصية فذَّة، طغى بها على معاني معظم الحروف، في الألفاظ التي تَصَدَّرَها، لِيُعطيَها من نقاء صوته صفاءَ صورةٍ وذكاءَ معنًى، ومن صلابته شدَّةً وقوةً وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادةً صوتية نقيّة، ما كان أصلحها لِمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات، وأحداث الطبيعة) [٥٣] فالصاد إذن حرف يدلُّ، على المعاني التي تَتَناسب وخصائصه الصّوتية فهو حرف صفيري صارخ.

رفرف:

وردت كلمة رفرف في وصف أهل الجنة قال تعالى:" **مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ)**[٥٤] الرفرف مجلس يرفّ بالبسط والوسائد(إذا استوى عليه صاحبه رفرف به، أو هوى به كالمرجاح يميناً وشمالا ورفعاً وخفضاً) [٥٥]، إنّ اقتران الراء بصوت الفاء المهموس الضعيف دلّ على التناوب بين الحركة والسكون، أو القبض والبسط، أو الاقتراب والابتعاد؛ ليدل على دوام الراحة والحرية والانبساط والسعادة التي تغمر أهل الجنة، فالراء صوت تكراري مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، أما الفاء فهو من الأصوات المهموسة المرققة، ولعل الهمس والترقيق والرخاوة التي تتمتع بها هذه الأصوات جاءت متساوقة مع دلالة اللفظ، وبذلك جعلته أكثر سمواً وجمالاً في سياقه هذا الذي لا يمكن للفظ آخر أن يحلَّ محله؛ فهو يرسم صورة المعنى من خلال جرس الكلمة الذي صبّته في السمع، وأوحت بجوّ من الصعود والنزول وهذه الحركة أشبه بالأرجوحة، وهنا يظهر الانسجام بين المعنى الموحي بالحركة وبين طبيعة حرف الراء الاهتزازية، وبهذا الإيحاء يتصور المرء ذلك النعيم الدائم في الجنة الذي لا ينقطع، كما أن الراء التي جاءت مفتوحة أوحت كذلك بخفة الحركة وما تحققه من متعة واسترخاء؛ لأن الفتحة هي من أخف الحركات لذلك جاء تكرار الراء مع حرف الفاء الذي طبيعته التفشي، وأوحت الكلمة في سياقها بجوّ من الجمال يصوّر أحوال أهل الجنة، وحين نردد هذه اللفظة نستشعر الهدوء؛ لأن الحياة هناك ناطقة بالسعادة والهناء، فخفة الإيقاع أوحت بالمعنى؛ كما أن حركة هذين الحرفين الفتح والسكون أضفت جمالاً صوتياً لخفتهما، وهذا ما يوحي بحركة ونشاط وحيوية.

لقد جاء الإيقاع المنبعث من حرف الراء التكراري بما فيه من جهر وقوة مع حرف الفاء المهموس الضعيف؛ ليشكل إيقاعاً يتناسب مع صوت الرفرفة، ذلك أن اللغة القرآنية تتخذ من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه معتمداً في ذلك على ما تتميز به بعض الألفاظ من خصائص صوتية وما تشيعه بجرسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد(فالكلمة لها أثر في الإيحاء بالمعنى يتأتى من حسن الاختيار، وجودة الانتقاء للكلمات المؤثرة في نظمها وجرس أصواتها بما يبعث الانفعال في نفس المتلقي) [٥٦]، فلفظة رفرف ألقت بظلالها على النص وانسجمت معه.

مذبذبين

في صوت الذال تذبذب واهتزاز، وصوته يخرج من طرف اللسان والأسنان، وهذا ما يُحدث الاهتزاز، وحينما يرتبط بصوت الباء يحصل التردد، كما أنه صوت يوحي بالاتساع والمدّ، فينتج عنه الذبذبة.

وقد وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى: " **مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰٓ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا)** حين تكرر حرف الذال بصورة متوازية مع حرف الباء أوحت اللفظة" مذذبين" إلى ذهن السامع بدلالة المعنى وهي التردد وعدم الاستقرار، ونلحظ هنا من خلال إيحاء اللفظة انسجام المعنى مع صورة المنافقين، وما هم فيه من حيرة وتردد واضطراب، لا يستقرون على حال في إشارة واضحة موحية إلى حالهم، فهم مع الكفار يظهرون كفرهم ومع المؤمنين يبطنون، وهذا ما أوحت به الكلمة من خلال التكرار الحاصل برسم صورة موحية لحال المنافقين.

ومما زاد في قوة الإيحاء ورود صوت الميم في بداية الكلمة الذي يوحي بالانفتاح والانحباس وفي ذلك شيء من التضاد، فكأن المنافق متردد متحير في الاختيار بين الكفر والإيمان، فنلحظ أن المعاني تتولد من دلالاتها الصوتية التي تشكلها الحروف في الكلمة على شكل ذبذبات تستقر في سمع المتلقي وتوحي بالتردد والحيرة.

وسوس، يوسوس، الوسواس:

وردت هذه الكلمات في سياقات مختلفة، وتدل على أصوات وسوسة الشيطان، قال تعالى: **" وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ)**[٥٧] وهذه الوسوسة تشبه صوت الحليّ في يد المرأة، قال الأعشى:

تسمع للحليّ وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرقٌ زجلُ [٥٨]

فهمس السين وسواس، وإغواء الشيطان وسواس كذلك، قال تعالى: **" مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ)** [٥٩]وردت هذه الكلمات ذات الحروف الاهتزازية مرات عديدة في القرآن الكريم، وكلها كانت متعلقة بالشيطان، فكلمة وسوس تدل على الهمس في الإغواء، وإيحاؤها يدل على الإغراء والإغواء، فالمتأمل لهذه الكلمة وبنائها المكون من مقطع مكرر يجد مدى علاقة اللفظة بتكرار الفعل، والحدث على ارتكاب المعصية، وتزيين القبيح وتيسيره، فالكلمة ومشتقاتها توحي بارتكاب المحظور، وهذا الإيحاء بالإغواء يعتمد على الضعف الموجود في فطرة الإنسان.

يوسوس:

في هذه الكلمة جاء حرف السين صامتاً مهموساً لثوياً، فقد تكرر المقطع(وس وس) بانتهاء الصوت المهموس لدلالةٍ تُخفي الشيطان حالة إحداث الوسوسة" الذي يوسوس في صدور الناس"، وهذا الصوت جاء اختياره دقيقاً لإبراز الوسوسة التي يخافت بها أهل الجرائم، ففي سورة الناس عدوٌّ واحد خفيّ هو الشيطان، وهو أخطر على الإنسان من باقي الأعداء، واللافت للنظر في هذه السورة أن الإنسان يستعيذ بثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى من عدوٍّ واحد هو الشيطان لخطورة وسوسته، أمّا في سورة الفلق، فيستعيذ المسلم باسم واحد من أسماء الله من أعداء كثر؛ لأن خطورتهم على جسد الإنسان وليس على دينه.

يتركب الفعل يوسوس من تكرار المقطع(وس وس)، وهذا التكرار الصوتي يحاكي عملية الوسوسة بما تشتمل عليه من إلحاح وإغراء بالشيء، ويقتضي تكرار الإيعاز بشيء مرة بعد مرة)[٦٠]، **" ونعلم ما توسوس به نفسه"**، تكرار الواو والسين أعطى جرساً موسيقياً جميلاً، أوحى باستكانة الإنسان وهدوئه؛ ولكنه هدوء يعمق دلالة دخول الشيطان إلى عقل الإنسان، وأمّا قول الله- عز وجلّ- في معرض الحديث عن آدم وحواء وخروجهما من الجنة، وإغواء الشيطان لهما" فوسوس لهما الشيطان" توحي كلمة وسوس بالصراع الذي يحصل مع الشيطان، فهو يوغر صدر الإنسان بالشهوات، والملذات في شعور خفي يبعده عن منهج الرحمن.

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى أن تكرار بعض الألفاظ بطريقة متوازية اهتزازية قد أبرز الجانب الدلالي الإيحائي؛ لأن الألفاظ الاهتزازية ذات طبيعة صوتية إيحائية تتناسب مع دلالة المعاني المركزية.

وأن الدلالة الإيحائية لا يقتصر في دراستها على بنية الكلمات الاهتزازية؛ وإنما يتعدى ذلك إلى دراسة صيغها ومكامن الدلالة فيها من خلال أثرها الإيحائي على المعنى؛ لأن القرآن يراعي الانسجام بين الإيحاء الصوتي والمعاني التي ترد الكلمات في سياقها، ويرسم صورة المعاني في الخيال، ويثير الإحساس في نفوس المتلقين، فهناك انسجام واضح في أصوات الحروف ومعانيها داخل سياق الآية في السورة وهذا من إعجاز القرآن الكريم؛ لذا تميزت الألفاظ الاهتزازية بإيحاء أسلوبي يتناسب مع السياق القرآني، ويكشف عن طاقتها التعبيرية.

وبعد دراستي لهذا الموضوع حاولت استخلاص النتائج الآتية:

- جاء التشكيل الصوتي للألفاظ الاهتزازية موحياً بالمعنى المراد من هذه الألفاظ في سياقها داخل الآيات
- ارتبطت الألفاظ الاهتزازية بدلالات إيحائية توحي بالمعنى المناسب.
- شخّصت هذه الألفاظ المعاني وأحالتها إلى مشاهدات انسجمت مع الحركة المناسبة للموقف.
- استوحى القرآن الكريم إمكانات اللغة التعبيرية وقيمها الجمالية من خلال الألفاظ الاهتزازية .

التوصيات:

مهما تعددت الدراسات القرآنية، فسيبقى القرآن العظيم مصدراً ثرّاً للباحثين، لأن القرآن نبعٌ متجدد، ومعجزة خالدة، تغري الباحثين بدراسته، والتعمق في قضاياه الإعجازية.

Abstract

Phonetic Connorations of Vibrational Word in the Holy Quran

By khaled Farhan Albadaineh

This research investigates certain linguistic and phonetic connotation, the epithet, or sonic revelation, in which meaning is depicted through the characteristic of phonetic revelation, the study of syllables and words in a vibrational manner, the visualization and diagnosis of meaning, and the mapping of its figurative image, which carries symbolic energies that are trampled by the ears, and souls, when heard. It means linking the sounds of words to their connotations. The research found that in the Holy Quran, words in the context of some Quranic verses were formed by pseudo-letters, which by their gestures showed signs charged with conditions appropriate to the purposes of words in the context of those verses.

Keywords: Connotation, suggestion, sound , vibrations, Word , meaning, image

الهوامش

(١) ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، مادة(وحي).

(٢) سورة القصص، الآية ٧

(٣) سورة النحل، الآية ٦٨

(٤) الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت٤٧١): **الرسالة الشافية في إعجاز القرآن**، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٤، ص٥٧

(٥) الصغير، محمد علي: **الصورة الفنية في المثل القرآني**، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١، ص٢٥٣.

(٦) الفيل، توفيق علي: **الفصاحة: مفهومها وبما تتحقق قيمها الجمالية**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ٦، ١٩٨٥، ص ١٧.

(٧) الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ٨١٦ **): معجم التعريفات**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة، ص ٣٧

(٨) المبارك، محمد: **فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٦٨م، ص٢٦١.**

(٩) مهدي، جنان محمد: **الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق القرآن**، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢١،ع٤، ٢٠١٠ ، ص٣

(١٠) قطب، سيد: **مشاهد القيامة في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٦٣

(١١) ابن جني: الخصائص ، ج٢ ص ١٥٧

(١٢) الفارابي(أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ٣٣٩ه): **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ص٧٠

(١٣) الجرجاني: الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، ص٥٨٥

(١٤) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ص١٨٨

(١٥) صالح سعد إسماعيل: **منهج أبحاث المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٩م، ص٨٧)

(١٦) مشحن، بلال عبد الستار: **الدلالة اللغوية للألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم**، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، ع ٢٠١٧،١٣٤، ص ١٧

(١٧) سيد قطب: **مشاهد القيامة في القرآن**، ص٤٧

(١٨) الفراهيدي(أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد ١٧٥)، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر،١٩٨٢م.

(١٩) ابن جنيّ(أبو الفتح عثمان، ت ٣٩٢ه): **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج٢، ص١٥٢.

(٢٠) المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧

(٢١) السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري): **المزهر في علوم اللغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة ، ط٣ ، ج١/ ص٣٥

(٢٢) أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٢٣) الرافعي، مصطفى: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٠

(٢٤) قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن الكريم**، دار الشروق، ط١٣، ١٩٩٣، ص٣٧

(٢٥) المبارك، محمد: **فقه اللغة وخصائص العربية**، دار الفكر، بيروت، ط ١٩٧٥،٦، ص٢٦١

(٢٦) سورة الزلزلة، الآية ١

(٢٧) تشارلتن هنري بكلن ، **فنون الأدب**، تعريب محمود زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ص٧٦

(٢٨) سورة الحج، الآية ١

(٢٩) الرافعي، مصطفى: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ص٢١٥

(٣٠) سورة الأحزاب، الآية ١١

(٣١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥

(٣٢) السعد، عامر حسن: **دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني**، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٥، ص٣٩

قطب، سيد، **مشاهد القيامة في القرآن**، ط١٠، دار الشروق، القاهرة، ص٢٣٨[٣٣]
سورة الشمس، الآية ١٤[٣٤]
سورة يوسف، الآية ٥[٣٥]
سورة التكوير، الآية ١٧[٣٦]
[٣٧] قنيبي، حامد صادق: **المشاهد في القرآن الكريم**، دراسة تحليلية وصفية، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٤، ص٤٨٢.
الرافعي ، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، ص ٢٤٦ [٣٨]
[٣٩] بني دومي، خالد قاسم: **دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم**، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ٢٠٠٦م، ص٢٤٨
سورة الحاقة ، الآية ٦ [٤٠]
سورة القمر، الآية ١٩[٤١]
سورة فصلت، الآية ١٦[٤٢]
ناصف، مصطفى: **نظرية المعنى في النقد العربي**، دار التعلم، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٩٥ [٤٣]
العطية، خليل إبراهيم: **في البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م، ص٦٠ [٤٤]
[٤٥] شادي، محمد إبراهيم: **البلاغة الصوتية في القرآن الكريم**، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع، مصر، ط١، ١٩٨٨، ص١٥
سورة الشعراء، الآية ٩٤[٤٦]
[٤٧] شادي، محمد إبراهيم: **البلاغة الصوتية في القرآن الكريم**، ص١٥
المصدر السابق، ص١٥[٤٨]
[٤٩] السيوطي(جلال الدين بن عبد الرحمن)، **الإتقان في علوم القرآن:** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط٤ ،١٩٧٤م، ج ٣، ص٩١٢
عبد الحميد الهنداوي، **الإعجاز الصوتي**، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٤، ص ١٠٦ [٥٠]
سورة طه ، الآية ١٠٦ [٥١]
عبد الفتاح صالح: **عضوية الموسيقي في النص الشعري**، دار المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥، ص ٦٦ [٥٢]
عباس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨، ص١٤٨ [٥٣]
[٥٤] سورة الرحمن، الآية ٧٦
عبد الفتاح صالح: **عضوية الموسيقى في النص الشعري**، ص ٦٦ [٥٥]
سيد قطب: **التصوير الفني في القرآن الكريم**، ص٣٧٥ [٥٦]
سورة ق، الآية ١٦ [٥٧]
[٥٨] (الأعشى (ميمون بن قيس،) **الديوان**، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص٥٥
سورة الناس ، الآية ٥ [٥٩]
الهنداوي، عبد الحميد: **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم** ص ٦٣ [٦٠]

المصادر والمراجع:

المبارك، محمد: **فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٦٨م،**
(السعد، عامر حسن: **دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني**، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٥،
(بني دومي، خالد قاسم: **دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم**، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ٢٠٠٦م،
ابن جنيّ(أبو الفتح عثمان، ت ٣٩٢ه): **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان،
ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ، ط٣ ، ١٣٠٠
الأعشى (ميمون بن قيس،) **الديوان**، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢
أنيس، إبراهيم: **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م
تشارلتن هنري بكلن ، **فنون الأدب**، تعريب محمود زكي نجيب، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠،
الجرجاني(أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت٤٧١): **الرسالة الشافية في إعجاز القرآن**، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة،
الجرجاني(علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ٨١٦ **): معجم التعريفات**، دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة،
الرافعي، مصطفى: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٠
السيوطي(جلال الدين بن عبد الرحمن)، **الإتقان في علوم القرآن:** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط٤ ،١٩٧٤م
السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري): **المزهر في علوم اللغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة ، ط ٣
شادي، محمد إبراهيم: **البلاغة الصوتية في القرآن الكريم**، الشركة الإسلامية للإنتاج والتوزيع، مصر، ط١،
صالح سعد إسماعيل: **منهج أبحاث المفسرين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٩م،

الصغير، محمد علي: **الصورة الفنية في المثل القرآني**، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١
عباس، حسن، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨،
عبد الحميد الهنداوي، **الإعجاز الصوتي**، الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٤
عبد الفتاح صالح: **عضوية الموسيقي في النص الشعري**، دار المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٥
العطية، خليل إبراهيم: **في البحث الصوتي عند العرب**، منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م،
الفارابي(أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ٣٣٩ه): **كتاب الموسيقى الكبير**، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
الفراهيدي(أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد ١٧٥)، **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر،١٩٨٢م.
الفيل، توفيق علي: **الفصاحة: مفهومها وبما تتحقق قيمها الجمالية**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية ٦،
قطب، سيد: **التصوير الفني في القرآن الكريم**، دار الشروق، ط١٣، ١٩٩٣
قطب، سيد: **مشاهد القيامة في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط١٠، ٢٠٠٦.
قنيبي، حامد صادق: **المشاهد في القرآن الكريم**، دراسة تحليلية وصفية، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط١، ١٩٨٤،
المبارك، محمد: **فقه اللغة وخصائص العربية**، دار الفكر، بيروت، ط ،١٩٧٥
مشحن، بلال عبد الستار: **الدلالة اللغوية للألفاظ الاهتزازية في القرآن الكريم**، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، بغداد، ع ١٣٤،
مهدي، جنان محمد: **الإيقاع الصوتي الإيحائي في سياق القرآن**، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، المجلد ٢١،ع٤، ٢٠١٠
ناصف، مصطفى: **نظرية المعنى في النقد العربي**، دار التعلم، القاهرة، ١٩٦٥،